بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(22) النبيُّ العظيم يعلمنا

آدابِ الحديث وانْتقاءِ الكَلِمات (1)

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

أكتب لحضراتكم من جاكرتا:

الكلمةُ الطيّبة المريحَة للنَّفس، الجابرةُ للخاطر؛ تُشعُّ نورًا، وسرورًا، وحبورًا، وهي طاقةٌ من الخير تتحرَّك في كلِّ اتجاهٍ لتَترك أثرَها المبارك... وهذه الكلمةُ شبَّهَها اللهُ (سبحانه وتعالى) بالشَّجرة الطيبةِ المباركة المعْطاءة التي تُعطي خيرًا كثيرًا...

إنَّ الكلمةَ الطيبة– أيها القارئ الكريم– لها جَمال، وجلال، ونور.. لها إزْهارٌ وإثمار.. لها آثارٌ مُباركة على القلب والنَّفس والعقل والوجدان، بل وعلى الحياةِ عامَّة، بعكسِ الكلمات الخبيثة المدَمِّرة..

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ) (إبراهيم: 24–26).

تأمَّلوا إلى هذا المثالِ العظيم الذي ضربَه اللهُ بخصوص الكلمةِ وما يترتَّب عليها، فالشخصُ يدخلُ الإسلامَ بكلمة، ويَنصرُ دينَه بكلمة، وينصرُ وطنَه بكلمة، وقد يَضرُّه بكلمةٍ أو شائعة. والشائعاتُ خطرٌ داهم إذا أُطْلِقَت سَرَت في جَنبات المجتمع بصورةٍ ناعمَة وخبيثة، فتُهدِّدُ المجتمعاتِ الآمنة، ولا يَقلُّ خطرُها عن مَخاطر الحروبِ بالجيوش النِّظامية بأسلحتِها المدمِّرة.

---

(1) راجع ذلك مفصلا: د/ أحمد علي سليمان: كيف نتوضأ بأخلاق النبوة؟، القاهرة، دار إشراقة، 1446هـ / 2024م، ص 197–202

ونَفهمُ من الآيات الكريماتِ ضرورةَ انتقاء الكلمات الطيبات، فهي كالشَّجرات الطيبات؛ أصلُها ثابتٌ وراسخٌ ونافع، وفرعُها بازغٌ وباذخٌ وسامقٌ في السماء...

الكلمةُ الطَّيبة رسالةُ المرسَلين، وسِمةُ المؤمنين، دعى إليها ربُّ العالمين في كتابِه العظيم فقال تعالى: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..) (الإسراء:53).

الكلمةُ الطيبة نابضَةٌ بالحياءِ والحياة، لا تموتُ ولا تَذْوى؛ لأنَّ بذورَها نبَتَت في قلوبِ الصادقين، وتُروَى في صدورِ المؤمنين.

الكلمةُ الطيبة هدايةُ الله وفضلُه لعباده المخلِصين، قال تعالى: (وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ) (الحج:24).

ولما كان اللسانُ أداةَ الكلام، وبإمكانِه أن يُطلق قَذائفَ مدوِّيَة قد تَحرق القلوبَ والنفوسَ والوجدان، أو أن يُطلقَ كلماتٍ بانياتٍ ترمِّم الأرواحَ وتُسعد الحياة؛ لذلك شدَّد الإسلامُ على ضَبط اللسان، وحفظِه، قال سبحانه وتعالى: (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (ق: 18). وقال تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَامًا كَاتِبِينَ) (الانفطار: 10-11).

وقد علَّمَنا القرآنُ الكريم الأدبَ، والحياء، وانتقاءَ الكلمات والألفاظ، واستخدامَ اللَّفظ المناسبِ في المكانِ المناسب.. وفي الوقتِ المناسب.. وفي الظرف المناسب، انظرْ مثلًا إلى قول الله تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ) (البقرة: 187)، فالقرآنُ كلُّه حياء، وكلُّه تربية، بل هو دستورُ دَساتير التَّربية الرَّشيدةِ في كلِّ زمانٍ ومكان، فلم يصرِّح القرآنُ العظيم بما بينَ الرجل وزوجِه من علاقةٍ خاصَّة، ولكنه عبَّر بالرَّفث؛ ليُشير إلى المرادِ بمنْتهى الحياء، حتى يعلِّمنا الأدبَ والحياء، وانتقاءَ الكلمات الطيبة.

ولقد أوضحَ الرسولُ العظيم (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) خطورةَ اللسانِ حين ردَّ على معاذِ بنِ جبل (رضي الله عنه) لما سألَه معاذ: يا رسولَ اللهِ، وإنَّا لمُؤاخَذونَ بما نَتكلَّمُ به؟! فقال: (ثَكِلَتكَ أُمُّكَ يا مُعاذُ، وهل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وُجوهِهم- أو قال: على مَناخِرِهم- إلَّا حَصائدُ ألسِنتِهم؟!)[2].

إنَّ انتقاء الكلمات الطيبة مِعيارُ سعادةِ الإنسان في الدنيا والآخرة، وإنَّ إطلاقَ الكلمات الخبيثة المؤذيَة معيارُ الشَّقاء، والعياذُ بالله.

ونحذِّر من الكلمات المدمِّرة التي تؤذي الفردَ والمجتمع، فكم أبكَتِ الكلماتُ الخبيثةُ عيونًا، وكم أدمَتْ قلوبًا، وكم أوْغَرت صدورًا، وكم زَرعَتِ الفتنَ والإحَن، وكم فرَّقتْ بين الأحبَّة، وكم غَرستِ الشقاقَ بين الأصدقاء، وكم طلَّقتْ زوجاتٍ ورمَّلتْ أطفالًا، وكم أعاقَتْ رأبَ الصَّدع وانْدِمالَ الجروح!. وكم غيَّبتْ عقولًا وأضاعتْ مَصالحَ البلاد والعباد، وكم نَشرتِ الحزنَ والخوفَ من المستقبل، ومِن المجهول، وكم حطَّمتْ مَعنويات، وتسبَّبتْ في هزائم أمَم، وكم أضاعتْ حقوقًا، وخلَقَت عقوقًا، وكم خلَّفت ظالمينَ ومَظلومين؟!

(2) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

فَعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أنَّ النَّبِيّ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) قَالَ: (إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن رِضْوانِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بها دَرَجاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَهْوِي بها في جَهَنَّمَ)[3].

لقد بَيَّن النبيُّ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) أثرَ الكلمةِ وما يترتَّب عليها حتَّى إنَّ العبدَ لَيتكلَّم بالكلمةِ مِمَّا يَرْضاه الله ويحبُّه، لا يَلتفِت لها قلبُه وبالُه لِقِلَّةِ شأنِها عندَه؛ يَرْفَعه الله بها درجاتٍ في الجنَّةِ... وإنَّه لَيتكلَّم بالكلمةِ الواحدةِ مِمَّا يَسْخَطه ويَكْرَهه اللهُ ولا يَرْضاه، لا يَلتفِت بالُه وقلبُه لِعِظَمِها؛ فيَهْوِي بها ويَسقُط بسببِها في دَرَكاتِ جَهَّنَمَ.

وقد ضمنَ الرسولُ الكريم الجنَّةَ لِمَن صانَ لسانَه وصانَ فرجَه، فقال: (مَن يَضْمَن لي ما بيْنَ لَحْيَيْهِ –أي: لسانه– وما بيْنَ رِجْلَيْهِ– أي: فَرجه–، أضْمَنْ له الجَنَّةَ)[4].

فلِسانُ الإنسانِ وفَرْجُه مِن نِعَمِ اللهِ العَظيمةِ. واللِّسانُ مع صِغَرِ حجمه فعَظيمٌ طاعتُه، وخَطير جُرْمُه، وقدْ يكونُ سَببًا في دُخول الجنَّة، أو انْكِبابِ صاحبِه على وجهه في النَّارِ؛ لذلك يجبُ على المسلم أن يحفَظَه من الكذب والغِيبةِ والنَّميمَة، والسَّبِّ والقَذفِ، وما شابَهه، ويَفعَلُ ما يَجبُ عليه مِن: ذِكرٍ، وأمْرٍ بمَعْروفٍ، ونَهْيٍ عن مُنكَرٍ، وقولِ الحقِّ وما إلى ذلك... والفرْجُ هو موضِعُ الحِفاظِ على الشَّرَفِ والأعراضِ والنَّسْلِ؛ لذا يَنْبغي للمُسلِمِ أنْ يَحفَظَه باجتنابِ الزِّنا وتَرْكِ الفَواحِش بشتى أشكالها وأنواعِها [5].

عزيزي القارئ، إنَّ الكلماتِ الدقيقةَ الرقيقة، التي يُطلقُها الجَنان من خلال البَنان أو اللِّسان، تؤكدُ الحقَّ والحقيقةَ، وتؤلفُ القلوبَ المرهَقة، وتشرحُ الصدورَ المتعَبَة، وترمِّمُ الأرواحَ المنْكَسرة، وتجبرُ الخواطرَ المنهَكَة، وتبعثُ الأملَ في النُّفوس، وتُقرِّب المسافاتِ البعيدة، وترسمُ بَسماتِ الفرح على قَسماتِ الوجوه، وعلى سُهول القلوب، وعُروش العقول[6]؛ لذلك أمرَنا اللهُ تعالى بقوْل الحقِّ والصِّدق، وانتقاءِ الكلماتِ الحسَنة في حديثِنا مع الجميع، قال تعالى: (...وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا..) (البقرة:83)، لم يقلْ وقولوا للمُسلمين حُسنًا، كلّا.. ولكنَّه قال: وقولوا للناس، كلِّ الناس.. وهكذا أرادَنا اللهُ تعالى أن نكون مؤدَّبين، قال تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ..) (آل عمران:110).

فإذا كانت هناك طريقةٌ حَسنةٌ للكلام، وطريقةٌ أحسَنُ منها؛ فقد أمرَنا ربُّنا بالطَّريقة الحسْنى في كلِّ شيء، ومع أهلِ الكتاب، قال تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...) (العنكبوت: 46).

---

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(5) الدرر السنية – الموسوعة الحديثية.

(6) د/ أحمد علي سليمان: كتاب "من عسل النحو: دليل تصحيح الأخطاء اللغوية الشائعة وتيسير كتابة المحررات العلمية، والإعلامية، والقضائية، والإدارية"، (تحت الطبع).

بل إنَّ الله تعالى أمرَ سيدَنا موسى وأخاه هارون (عليهما السَّلام) أن يقولا لمن ادَّعى الألوهية، واسْتكبرَ على الله، وعلى شتَّى خَلق الله؛ أمرَهما اللهُ أن يقولا لفِرعون قولًا لينًا، قال تعالى: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (طه:44)، فسُبحانَ الله الرحيم! إذا كان هذا توجيهَ الله مع مَنِ ادَّعى أنه الله! فما بالُنا برِفْق الله تعالى بمَن قال ربّي الله؟!.

ومَن يُخالفني في الفكر أو في الاتِّجاه لا بدَّ أن أحترمَه وأحترمَ فكرَه، فالاختلافُ والتَّعددية إثراءٌ للحياة، ويَعودُ بالنَّفع على الجميع.

وكان رسولُ الله (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) المثلَ الأعلى لأمتِه، فلم يكنْ فظًّا غليظًا، بل كان سَهلًا سَمحًا، لينًا، دائمَ البِشْر، يقابلُ الصغيرَ والكبيرَ بوجْهٍ باسِم على الدَّوام، وبما يَبعثُ السكينةَ والطُّمأنينة في النفوس، ويُبادرُهم بالسلام والتَّحية والمصافَحَة وحُسن المحادَثة؛ لذلك علَّمَنَا النبيُّ العظيم أدبَ التخاطب وعفَّةَ اللسان؛ فقال (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ): (ليسَ المؤمنُ بالطَّعَّانِ ولا اللَّعَّانِ ولا الفاحشِ ولا البذيءِ)[7].

وعلَّمَنَا (عليه الصلاةُ والسَّلام) أهميةَ انتقاءِ الكلمات الطيبة البانيَة فقال: (..الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ...)[8].

ويَقول (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ): (..اتَّقُوا النَّارَ ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ، فإنْ لَمْ تَجِدُوا، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ..)[9].

الكلمةُ الطيبة دَلالةٌ على الإيمان، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنَّ رسولَ الله (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) قال: (مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أوْ لِيَصْمُتْ...) [10].

والكلمةُ الطيبة سببٌ في دخول الجنة، فعن عبدِ الله بنِ عمرَ (رضي اللهُ عنهما) أنَّ رسول (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) قال: (إنَّ في الجنةِ غرفةً يُرَى ظاهرُها مِنْ باطِنِهَا وباطنُهَا من ظاهِرِهَا فقالَ أبو مُوسَى الأشعريُّ: لِمَنْ هِيَ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: لِمَنْ ألانَ الكلامَ، وأطْعَمَ الطَّعَامَ، وبَاتَ للهِ قائِمًا والنَّاسُ نيامٌ)[11].

والنبيُّ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) كان يَستثمرُ الفرصَ والسَّوانحَ ليعلِّمنَا انتقاءَ الكلمات الطيبة.

سلوكُ الأتْقياء والصّالحين:

من المبادئ المسْتقرَّة والمسْتَقاة من روحِ دِيننا الحنيف، ومِن تعليماتِه، أنَّه "لا يحقرنَّ أحدٌ أحدًا من الناس، فإنَّ صغيرَ الناس عند الله كبيرٌ بإيمانِه وإخلاصِه وتقواه...".

---

(7) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير– صحيح.

(8) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(9) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(10) أمينة أحمد زاده: وقولوا للناس حسنًا (مرجع سابق)، والحديث أخرجه الإمام البخاري ومسلم واللفظ لمسلم.

(11) أخرجه الإمام أحمد شاكر في تخريج المسند.

وكان الأتقياءُ والأنقياء والأولياءُ والصالحون يتعهَّدون ألسنتَهم، ويحرصون على انتقاءِ كلماتهم وألفاظِهم، فعاشوا أتقياءَ أنقياءَ أصفياءَ وسُعداء. فهذا الأحنف بنُ قيس يخاصمُه رجلٌ فيقول له: "لئنْ قلتَ واحدةً لتَسْمعَنَّ عشرًا"، فقال له الأحنف: "لكنَّك والله لو قلتَ عَشرًا ما سمعتَ كلمةً واحدة"[12].

والكلمةُ الطيبة المنتَقاة بَلسَم.. والكلمةُ الطيبة مَرْهم.. الكلمةُ الطيبة تِرياق.. الكلمةُ الطيبة عِلاج.. الكلمةُ الطيبة تُعمِّر ولا تُدمِّر.. الكلمةُ الطيبة تَبني ولا تَهدِم.. الكلمةُ الطيبة تؤلِّف بين قلوبِ الأفراد، والأزواج، والأُسَر، والعائلات، والقبائل، والدُّول والشُّعوب... ويا لها من فضلٍ عظيم!.

وعلينا جميعًا انتقاءُ الكلمات الطيبة المباركةِ المزْهِرة والمثْمِرة والمنْضَبطة والمفْرِحة التي تَنشرُ الجمالَ في قلوب الناس، وفي قلبِ المجتمع.

وأكرِمْ بها من كلماتٍ بانياتٍ! وإيّاكم ثمَّ إياكم والكلماتِ الخشِنَة، واحْذروا إطلاقَ الكلماتِ العنيفة التي تدمِّر ولا تُعمِّر.. تَهدم ولا تبني.

وتبقى الكلمةُ أمانةً من أهمِّ الأماناتِ التي سيُحاسَب عليها الإنسانُ أمامَ الله يومَ القيامة...

وهكذا سبقَ النبيُّ العظيمُ العالمَ المعاصرَ في وضْع أسس وقواعدِ ثقافة انتقاء الكلام، وهو ما يُطلق عليه حديثًا "قواعد الإتيكيت في الكلام".

فاللهمَّ وَضِّئنا بأخلاق نبيِّك العظيم، ومتِّعنا بزيارته ورؤيتِه ونَيْل شفاعته، وابذرْ بذورَ الخير والحبِّ والإيمان في قلوبنا يا أكرمَ الأكرمين.

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا الصِّيَامَ وَالقِيَامَ وَصَالِحَ الأَعْمَالِ يَا رَبَّ العَالَمِينَ... اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَهْلِيكُمْ وَأَنْجَالِكُمْ وَأَحْفَادِكُمْ وَذَرَارِيكُمْ أَجْمَعِينَ الفَرَحَ وَالسُّرُورَ وَالحُبُورَ، وَالسَّعَادَةَ العَامَّةَ التَّامَّةَ الكَامِلَةَ الشَّامِلَةَ الدَّائِمَةَ المُسْتَقِرَّةَ المُسْتَمِرَّةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ... نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ لَنَا وَلِأَوْلَادِنَا، وَلِمُجْتَمَعِنَا وَلِشَعْبِنَا.

اللَّهُمَّ احْفَظْ مِصْرَ شَرْقَهَا وَغَرْبَهَا، شِمَالَهَا وَجَنوبَهَا، طُولَهَا وَعَرْضَهَا وَعُمْقَهَا، بِحارَهَا وَسَمَاءَهَا وَنِيلَهَا، وَوَفِّقْ يا رَبَّنَا قِيادَتَهَا وَجَيْشَهَا وَأَمْنَهَا وَأَزْهَرَهَا الشَّرِيفَ، وَعُلَمَاءَهَا، وَاحْفَظْ شَعْبَهَا، وَبِلادَ المُحِبِّينَ يا رَبَّ العَالَمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ على سَيِّدِنا وَمَوْلانا مُحَمَّدٍ، وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

خادم الجناب النبوي

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي

سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

واتس آب: 01122225115 بريد إلكتروني:

drsoliman55555@gmail.com

متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها: (الدكتور أحمد علي سليمان)؛ يضمن لك كل جديد https: //www.facebook.com/drahmedalisoliman/

(12) أمينة أحمد زاده: وقولوا للناس حسنًا، (مرجع سابق).